الليالي

(١)

مكـانيَ الـهـادىء الـبـعـيـدْ
كُـن لـي مـجـيـراً مـن الأنـامْ
قـد أمَّـكَ الـهـاربُ الـطـريـدْ
فـآوِهِ أنـتَ والـظلامْ

* * *

يـا حسنهـا سـاعـة انفصـالْ
لا ضـنْـك فـيـهـا ولا نـكـدْ
يـا حـقبـةَ الـوهـم والخيـالْ
هـلاَّ تـمـهـلتِ لـلأبـدْ؟!

* * *

يـا أيـهـا الـعـالـم الأخـيـرْ
مـاذا تـرى فيـك من نصيبْ؟
أراحـةٌ فـيـك لـلضـمـيـر
أم مـوعـدٌ فيـك من حبيبْ؟

* * *

كم يَعـذُب المـوتُ لـو نـراهُ
أو كـان فيك اللقـاءُ يُـرجى
يـنـفضُ عـن عـيـنـه كـراهُ
ويـقبـل الـراقـدُ الـمسجَّى!

* * *

لـكـن شـكّـاً بـمـا تـجـنّ
خـيّم فـوق الـعقـولِ جـمعَـا

عـجبـتُ لـلمـرءِ كـم يئـنّ
ويـستـطيـبُ الـحيـاةَ مَـرعَى

* * *

قـد صـار حبُّ الحيـاةِ منـا
يـقنـعِ بـالـجيـفـةِ الـسبـاعْ
وعـلم الـسـمـحَ أن يـضـنّـا
وثـبَّت الـجبـنَ فـي الـطبـاعْ!

* * *

(٢)

طـال بنـا الصـمتُ والـجمـودْ
لا البـدر يـوحي ولا الغـديـرْ
يـا عـالـم الضـيـم والـقيـودْ
بـرَّحـت بـالـطائـر الأسيـرْ!

* * *

هـربـتُ مـن عـالـمٍ أضـرَّا
وجئـت يـا كـعـبـتـي أزورْ
هـاتـي خـيـالاً إذن وشـعـرا
أسـكـبـهُ فـي فـمِ الـدهـورْ!

* * *

هـرَبـتُ من عـالـمِ الـشقـاءْ
وجئـتُ عَلي لـديـكِ أحيـا!
أشـرب مـن روعـةِ الـسمـاءْ
شعـراً وأسقـي الفـؤادَ وحيـا!

* * *

مللتَ في هاته العوالمْ
مهزلةَ الموت والحياهْ
وصورةَ القيدِ في المعَاصمْ
ووصمةَ الذلِّ في الجباهْ

* * *

هياكلٌ تعبرُ السنين
واحدةُ العيش والنظامْ
واحدة السخطِ والأنينْ
واحدة الحقدِ والخصامْ!

* * *

وواحد ذلك الطلاء
يسترُ خزياً من الطباعْ
أفنى البلى أوجهَ الرياءْ
ولم يذُبْ ذلك القناع!

* * *

بعينها كذبةُ الدموعْ
بعينها ضحكةُ الخداعْ
ومُنحَنَى هاته الضلوعْ
على صوادٍ بها جياعْ!

(٣)

كأن صدر الظلام ضاقْ
من كَثرةِ البثِّ كل حينْ!
يا ويحه كيف قد أطاقْ
شكوى البرايا على السنينْ؟!

* * *

كـأنـمـا يـنـفـثُ الـشـهـبْ
تـخـفـيـفَ كـرب يئـنَ مـنـهْ
كـالـقلب إن ضـاق واكـتـأبْ
تـخـفـف الـذكـريـات عـنـهْ

* * *

كـم زفـرة في الـضلوع قـرَّتْ
يـحـوطـهـا هـيـكـلٌ مـريضْ
مـبـيـدة حـيـثـمـا اسـتـقـرت
فـان نـبُـحْ سمّـيـت قـريضْ!

* * *

كم في الـدجى آهـةٌ تـطول
تـسـري الـى أذنـه وشـعـرْ!
لـو يفهم النجمُ مـا نـقـول!
أو يـفهـم الـليـلُ مـا نُـسـرْ!

* * *

مـا بـالـهـا أعـيـن الـفـلك
مـنـتـشـرات عـلى الـفـضـاءْ
تـطل مـن قـاتـمِ الـحـلك
بـغـيـر فـهـمٍ ولا ذكـاءْ!

* * *

ألا وفـيٌ ألاَ مـعـيـنْ
فـي مـدلهـمٍ بـلا صبـاحْ؟!
وكـلّـمـا جَـدَّ لـي أنـيـنْ
تـسـخـر بـي أنَّـةُ الـريـاحْ!

* * *

هبنـا شـكـونـا بـلا انقـطاعْ
مـا حظ شـاكٍ بـلا سـمـيـعْ

وحظ شعرٍ إذا أطاعْ
يا ليته عاش لا يطيع

* * *

يضيعُ في لجةِ الزمنْ
مبدداً في الورى صداهْ
ولن ترى في الوجودِ مَنْ
يدري عذاب الذي تلاهْ!

(٤)

يا أيها النهر بي حسدْ
لكل جارٍ عليك رفّ
أكُلُّ راجٍ كما يودّ
يروي ظماه ويرتشفْ

* * *

ومن حبيب إلى حبيب
ترنو حناناً وتبتسمْ
وكل غادٍ له نصيبْ
من مائِك البارِدِ الشبمْ

* * *

يا نهرُ روّيتَ كل ظامي
فراح ريّان إن يذُقْ
فكن رحيماً على أوامي
فلي فمٌ بات يحترقْ

* * *

يا نهر لي جذوة بجنبي
هادئة الجمرِ بالنهارْ

فـإنْ دنـا الليـلُ بـرَّحَتْ بـي
وسـاكـن الـليـل كـم أثـارْ

* * *

وقـفـت حـرّان فـي إزائـكْ
فـهـل تـرى منـك مـسـعـدُ؟
وددتُ ألـقـي بـهـا لـمـائِـكْ
لـعـلـهـا فـيـك تـبـردُ

* * *

عـالـج لـظاهـا فـإن سكنْ
فـرحـمـةٌ منـك لا تـحـدْ
وإن عـصـت نـارُهـا فـكـنْ
قـبـراً لـهـا آخـر الأبـدْ!

* * *

تـريـني الـهـاجـر الـشتـيتْ
وقـربـه لـيس لـي بـبـالْ
وكـلّمـا خـلتـنـي نـسـيـتْ
مَـرَّ أمـامـي لـه خـيـالْ

* * *

تـمـر ذكـرى وراء ذكـرى
وكـل ذكـرى لـهـا دمـوعْ
وتـعبـر الـمشـجـيـاتُ تـتـرى
من كـل ماضٍ بـلا رجـوعْ

* * *

مـاضٍ وكـم فيـه مـن عـثـارْ
ومـن عـذابٍ قـد انـقـضـى
كـم قلت لا يـرفـع الـسـتـارْ
ولا ادكـارٌ لـمـا مـضـى!

* * *

يـا من أرى الآن نصب عيني
خـيـالَـه عـطَّر الـنـسـمْ
بـالله مـا تـبـتـغيـه مـنـي
ولـم تـدع لي سـوى الألَـمْ

* * *

فـي ذمـة الله مـا أضـعـتـمْ
مـن مهـجٍ أصبحت هبـاءْ
لم نجـزكم بـالـذي صنعتمْ
إنَّـا غـفـرنـا لـمـن أسـاءْ

* * *

لا تـحسبـوا البـرءَ قـد ألَـمّ
فـلم يـزل جـرحنـا جـديـدا
يـخـدعـنـا أنّـه الـتـأمْ
ولم يـزل يخبىءُ الـصـديـدا!

* * *

يـا أيهـا الليـل جئتُ أبكي
وجئـتُ أسلو وجئـت أنسـى
طـال عـذابي! وطـال شكي
ومـات قـلبي، ومـا تـأسَّى!

* * *